المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر
الجمهورية العراقية
المجلد الرابع عشر - العدد الثاني ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد علي محمد

الآفاقة العربية الاسلامية بوجه الخطر الصليبي

الدكتور

سواد عبد محمد

كلية التربية ـ جامعة البصرة

لم يصح المشرق العربي الاسلامي من سباته الا بعد سقوط مملكة الرها الصليبية سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ، واستعادتها من قبل الجيوش الاسلامية المتحالفة بقيادة عماد الدين زنكي صاحب الموصل [١] . ان سقوط هذه المملكة يمثل في الواقع قمة المرحلة الاولى في الافاقة ، المتمثلة بالوقوف ضد الصليبيين وتدارك اخطارهم او حصرها او الحيلولة دون توجيه ضغوطهم على القوى الاسلامية او على حصولهم على اي تفاهم معها .

لابد من الاشارة الى ان ماحصل عليه المسلمون من نجاحات جراء الانتصارات التي تلت سقوط مملكة الرها ، اكدها الانهيار الفاجع الذي تعرضت له الحملة الصليبية الثانية ، التي كانت تهدف الى اعادة سيادة الصليبيين في المشرق العربي [٢] .

وقد أثار استعادة الرها الى الحضيرة الاسلامية هلعا « في الغرب الاوربي المسيحي وذلك بفعل الضربات المتتالية التي وجهتها الجيوش الاسلامية للقوى الصليبية المتدفقة الى الاراضي المقدسة والى غيرها من هذه القوى التي كانت تبذل محاولاتها للوصول الى الشرق .

ولعل من المفيد ، القول ، بان الهجوم الصليبي الواسع ابان الحرب الصليبية الاولى على الاراضي المقدسة ، ادى الى تخاذل القوى الاسلامية وانهيارها معنويا « وعسكريا »،اذ حالما بدات تظهر نذر الحرب بتقدم الجيوش الصليبية، وهي تجوس ديار المسلمين ، حتى اخذت هذه القوى تتخلى عن مواقعها او تتراجع عنها وتستسلم للفزاة او تعقد معهم التحالفات غير المتكافئة ، ففي ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م شن الصليبيون اول هجوم لهم على آسيا الصغرى ، حتى بلغوا ابواب مدينة نيقية عاصمة السلطان السلجوقي قلج ارسلان بن سليمان ، فقتلوا السكان بوحشية بالغة ، ونهبوا القرى واستاقوا ما صادفوه من الماشية والاغنام ، ولكن المسلمين ارتدوا عن قتالهم[٣] على الرغم مما اشتهرت به مدينة نيقية في مناعة استحكاماتها وقوة اسوارها وضخامتها فانها سقطت بيد الصليبيين ، وجرى انفاذ الرسائل الى الغرب ، تعلن ان هذا الموضع المبجل عاد مسيحيا » مرة اخرى وتلقى

---

(١) وهو عمادالدين بن آق ـ سنقر بن عبدالله الاتابكي . وقد لقب والده « قسيم الدولة » كما عرف بالحاجب نظرا لخدماته السياسية والعسكرية الجلى للدولة السلجوقية (ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب حـ٢ (تحقيق سامي الدهان ، دمشق ـ ١٩٥٤) ص ١٠٣ـ ١٠٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط١ ، القاهرة ـ ١٣٦٧ هـ) حـ١ ص ٢١٧ـ٢١٨ ، عمادالدين خليل ، عمادالدين زنكي (ط١ ، بيروت ـ ١٩٦٧) ص ٢١ـ٥٤ ، ١٦٩ـ١٨٧ .

(٢) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ ٢ (دار الثقافة ، بيروت ـ ١٩٦٨ ، ط ١ ترجمة د. السيد الباز العريني) ص ٤٦٧ .

(٣) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

WWW.ATTAWEIL.COM

الناس الانباء بحماس شديد ، فكثر قدوم الصليبيين وازداد الاهتمام بالحركة الصليبية عموما « ، وبدأ الصليبيون يتطلعون نحو الاراضي المقدسة ومدينة بيت المقدس (٤) .

ويبدو ان سقوط مدينة نيقية ، زاد في خوف المسلمين وقلقهم ليس فقط في آسيا الصغرى والبلاد المجاورة ، بل في بلاد الشام وفلسطين ، وترتب على ذلك ان تشجع الصليبيون على التقدم بقواتهم نحو المشرق الاسلامي ، وكان ازاما» عليهم ان يصلوا الى مدينة « دوريليوم » Durolume وهي اقرب المناطق الى الاراضي المقدسة . وما لبث الصليبيون ان شرعوا بهجوم شامل على المناطق الاسلامية ، فذعر المسلمون ولاذ اكثرهم بالفرار بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة (٥) .

ان النكبات التي حلت بالمسلمين ، ساعدت الصليبيين على تحقيق اهدافهم ، فجعلتهم يستغلون هذا التدهور الشامل الذي ساد العالم الاسلامي ، وذلك بسعيهم الى توسيع مناطق نفوذهم وارغام السكان على تنفيذ مطاليبهم ، وقد اشار ابن الاثير الى ذلك ذاكرا « الحال التي كان عليها المسلمون من الوهن والضعف والمشركون من القوة .. كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت اجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وعلا شرهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم وضعف اهلها من كف عاديتهم وساموا المسلمين سوء العذاب ، فنجوم سعد المسلمين متكدره وسماء عزمهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة .. ثم يقول : اما الرقة وحرآن فقد كان اهلها معهم في ذل وصغار واستضعاف واقتسار (٦) كما انهم يهدفون الى بلوغ الاراضي المقدسة لتاسيس امارات خاصة بهم تكون بمثابة المواقع المستديمة لهم للبقاء والانطلاق ، مما جعلهم ينشطون في تامين الطرق التي ينبغي عليهم ان يسلكوها عبر آسيا الصغرى ولتوفر لهم المؤن والامداد (٧) على ان اقرب هذه الطرق التي كانت تربط مواقعهم هي الطريق الممتدة من دوريليوم الى عمورية ثم الى دروب فليقية (٨) ، وقد انقطعت انطرق الى دمشق الاعلى الرحبة وبادية الشام — وكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب المفازة تعبا » ومشقة ويخاطرون بالقرب من العرب باموالهم وانفسهم »(٩) .

ومما زاد في خوف المسلمين وهلعهم ، تنامي قوة الصليبيين بتحالفهم مع البيزنطيين والارمن ، حيث قدم هؤلاء خدمات كثيرة لتسهيل مهمات حلفائهم القادمين ، فالبيزنطيون سهلوا مرور جيوشهم الى الشرق وزودوهم بالرجال والمعدات والمؤن واشتركوا معهم في قتال المسلمين ، فيما كان الارمن يرحبون بالصليبيين في المشرق ويفتحون لهم ابواب المدن والحصون والقلاع ، ومنها مدينة الرها التي اصبحت فيما بعد اهم قواعدهم في بلاد الجزيرة الفراتية ، حيث تحرك الصليبيون من تل باشر احدى مدن الجزيرة سنة ٤٩٢ هـ /١٠٩٨م قاصدين الرها فجرى استقبالهم من قبل الارمن وجميع السكان المسيحيين باشد ما يكون من الحماس(١٠) .

ويظهر لنا اقدام بلك بن بهرام الارتقي ، على بيع احدى مدنه وهي سميساط الى بلدوين لي بور كونت الرها سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م مقابل عشرة الاف دينار « وقبول الاخير هذا العرض ودخوله سميساط منتصرا » (١١) — يظهر مدى ماكان يعانيه المسلمون وحكامهم من الخوف وتردى المعنويات ، حيث غلبت على اكثرهم روحية الاستسلام لهؤلاء الغزاة ، كما ان سقوط مدينة سروج التي يؤلف العرب والمسلمون اغلبية سكانها بيد بلدوين نفسه يعد في سلسة التردي الذي انتاب المسلمين ، وكان سكان المدينة قد بعثوا الى بلك بن بهرام يطلبون اليه القدوم لانقاذهم ، لكنه ورجاله لم يحركوا ساكنا » لارتياعهم على مايبدو من صليبي الرها ، مما حمل السكان ان يعرضوا على بلدوين التنازل له عن مدينتهم وان يؤدوا له الجزية الامر الذي شجع الصليبيين على الاستيلاء على المدينة واحتلالها والقاء القبض على بلك بن بهرام وقتله مع افراد حاشيته ورجاله ووضع حامية عسكرية في سروج والتقدم نحو البيرة الواقعة على نهر الفرات والاستيلاء عليها

(٤) ن.م. ص ٢٥٩ .
(٥) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٢٦٢-٢٦٤ .
(٦) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (تحقيق عبدالقادر احمد طليمات — القاهرة — ١٩٦٣) ص ٢٢-٢٣ .
(7) RAMSAY, The historical geography, royal geographical society, supplementary papers, Vol. IV, London, 1890, pp. 74 - 82.
(٨) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٢٦٠ .
(٩) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٢٣ .
(١٠) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٢٩٠
(١١) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٢٩٥

فسهل لهم القضاء على المقاومة الاسلامية في المناطق الواقعة بين الرها وتل باشر ورواندان ، مما جعلهم يكفلون لامارتهم الاتصال بالحملة الصليبية الرئيسة ، وفي الوقت ذاته اقتنع المسلمون على مايبدو ان كونت الرها والصليبيين يصح اعتبارهم قوة فرضت وجودها ولابد من الاعتراف بالامر الواقع والتسليم لها[١٢] .

ويصور لنا احد المؤرخين المعاصرين حالة القلق والخوف التي كان يعانيها المسلمون جراء الغزو الصليبي ، فيذكر : ظهور الصليبيين بعساكرهم الكثيفة ، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها ولما زحف المسلمون لردهم استظهر الصليبيون عليهم وكسروا الجيش الاسلامي فقتلوا منهم واسروا ونهبوا وسبوا « وتواصلت الاخبار بهذه الوقعة المستبشعة في حق الاسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق »[١٣] .

وعندما هاجم الصليبيون معرة النعمان ، استغاث أهلها بالملك رضوان صاحب حلب وبجناح الدولة صاحب حمص « فلم ينجدوهم ولم يكن للاهالي من القوة والامكانيات مايمكنهم من المقاومة طويلا » ، فاضطروا الى التسليم للصليبيين وعندئذ لم يحترم الصليبيون الامان الذي اعطوه لاهل معرة النعمان وانما غدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد وقطعوا على اهل البلد القطائع ولم يفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لاطاقة لهم به[١٤] ، كما اسرع بنو عمار الذين كانوا يحكمون امارة طرابلس ، بأرسال رسلهم الى الصليبيين عند اقترابهم من مضارب القبائل العربية شمالي طرابلس حيث اسرع الامير ابو علي فخر الملك صاحب طرابلس بعقد اتفاقية مع الصليبيين ورفع اعلامهم على سور مدينته وغيرها من المواضع التابعة له اشارة الى ولائه للصليبيين[١٥] ؛ وارسل الصليبيون بدورهم رسلا «الى طرابلس للاتفاق مع اميرها فخر الملك، وقد استدعت ثروة طرابلس وغناها شراهة الصليبيين فطمعوا في زيادة القطائع المفروضة عليها . كما يسر لهم الاستيلاء على بعض المواقع الاسلامية مثل عرقه وانطرسوس وجبله التي تم عقد اتفاق مع حاكمها عبيدالله بن منصور بدفع جزية من المال والخيل[١٦] وتعكس حملة الصليبيين على مدينة انطاكية التي اشتهرت عند المسيحيين لقداستها[١٧] واهميتها بكونها حصنا « استراتيجيا » استمرار حالات القلق والانهيار عند المسلمين، فقد عجز ياغي سيان حاكم المدينة من اقناع الحكام المسلمين في المنطقة بانجاده ضد تهديدات الصليبيين التي كانت تتعرض لها امارته، حيث كان اغلبهم مترددا» ولا يجد في الوقوف والتحالف معه. لقد ساعد هذا الموقف ، الصليبيين على التقدم نحو انطاكية ومحاصرتها والاستيلاء على قافلة ضخمة من الماشية والاغنام والقمح كانت في طريقها الى تموين جيش ياغي سيان [١٨] ، مما جعل الطريق مفتوحا امام الجند الصليبيين الى انطاكية ، فانخلعوا مواضعهم خارج اسوارها وراحوا يعدون الخطط لاقتحام الاسوار والانتشار داخل المدينة. ولم تستطع فرقة من المسلمين ان تدافع عن المدينة ، فلم تلبث ان غلبت على امرها ولقي جميع من فيها مصرعهم[١٩] وبذلك اكتمل حصار المدينة ، وارسل الصليبيون نداء الى الامبراطور البيزنطي الكسيوس يلتمسون فيه النهوض لنجدتهم ، كما استطاعوا ان يوطدوا صلتهم باحد قادة المسلمين في داخل مدينة انطاكية واسمه فيروز الذي كان ارمنيا بالاصل واعتنق الاسلام وارتقى الى وظيفة عاليه في حكومة ياغي سيان ، فعلى الرغم من تظاهره بالولاء لسيده فانه كان شديد الحقد والبغضاء له لانه فرض عليه اخيرا «غرامة لاختزانه القمح، مما دفعه الى خيانة سيده حيث اتصل

---

(١٢) حرص الصليبيون على تطبيق سياستهم التي كانت تقضي بعدم الابقاء على حياة اي قائد او زعيم اسلامي في المناطق التي يستحوذون عليها ، ففي نظرهم «لا يمكن الاطمئنان للسكان المسلمين والثقة بهم (رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٢٩٨-٢٩٩) .

(١٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق (بيروت ـ ١٩٠٨) ص ١٣٤ .

(١٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٦ ، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب حـ٢ ص ١٤٢ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ (مطبعة السعادة ـ ١٣٩٠ هـ) حـ١٠ ص ٩٦ .

(١٦) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ص ١٣٦-١٣٨ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية حـ١ (ط٣ ـ ١٩٧٨ ، القاهرة) ص ٢٢٤ .

(١٧) لانهم اتخذوا بها لاول مرة اسم المسيحيين ، وبها اقام القديس بطرس ، اول اسقفية له (رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ١ ص ٢٠٢) .

(١٨) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٢٠٦

(١٩) وروى ان نحوا من ١٥٠٠ من الاتراك المسلمين جسرى ذبحهم ومات كثير منهم غرقى . ومن الذين لقوا حتفهم تسعة امراء وعندما تمت مواراتهم في مقبرة المسلمين في المدينة ، حدث في صبيحة اليوم التالي ان نبش الصليبيون المقابر واخرجوا الجثث كيما ينتزعوا ماعليها من الذهب والفضة (رنسيمان المصدر نفسه ص ٢٢٢)

بالصليبيين سرا وسهل لهم مهمة الاستيلاء على انطاكية[٢٠] ؛ اذ فتحت لهم ابواب المدينة واخذ الصليبيون يتدفقون الى داخلها فقتلوا كل من وقع نظرهم عليه من السكان رجالا ونساءا ؛ وراحوا ينهبون المدينة ويستبيحونها[٢١] وقد فر باغي سيان من المدينة الى التلال المجاوره ، غير انه لم يلبث ان قتل على يد الصليبيين[٢٢] ويذهب الاستاذ رنسيمان الى القول بانه لم يبق بانطاكية من المسلمين احد من الاحياء ، بل ان المسلمين هربوا حتى من القرى المجاورة لانطاكية والتي لم يبلغها الصليبيون وتعرض للنهب ، بيوت سكان المدينة المسلمين ؛ وعبث الصليبيون وحطموا ماصادفوه من النفائس والاسلحة ويوضح بقوله فما من احد من الناس يستطيع ان يرتاد الشوارع دون ان تعثر قدماه بالجثث التي لم تلبث ان تعفنت بتاثير حرارة الصيف [٢٣] . ولما بذل المسلمون محاولاتهم لانقاذ مدينة انطاكية من الصليبيين بعد ان تواصلت الاخبار بدخولهم فيها اوقع الصليبيون الهزيمة في الجيش الاسلامي « وفرقوا جموعه وهزموا فرسانه ووقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغالبين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين»[٢٤] وعلى الرغم من كثافة الجيوش الاسلامية وعددها الذي لا يدركه حصر ، فقد فشلت مساعي المسلمين وذهبت محاولاتهم سدى ، لان الاضطراب والارتباك كان يسود بين صفوفهم .

من المحتمل ، ان موقف الفاطميين في مصر من الغزو الصليبي [٢٥] الذي استهدف بلاد الشام والاراضي المقدسه ، مهد لاحلال الاستكانة في نفوس المسلمين لهؤلاء الغزاة. فقد ارسل الفاطميون سفارة مصرية الى معسكر الصليبيين المنصوب امام انطاكية وقد زودت هذه السفارة باقتراح ينمتل باقتسام بلاد الشام ، يحوز الصليبيون بموجبها القسم الشمالي بينما ياخذ الفاطميون فلسطين . واستقبل الصليبيون سفراء الفاطميين بالمودة والحفاوة ومكثوا في المعسكر الصليبي بضعة اسابيع عادوا بعدها الى بلادهم تصحبهم سفارة من الصليبيين وقد حملوا هدايا وفيرة ، واستخلص الصليبيون من المفاوضات مايعود من المزايا عليهم نتيجة تدبير المؤامرات على الدول الاسلامية [٢٦] ، كما ان الامبراطور البيزنطي الكسيوسي كومنين ، كان قد نصح الصليبيين منذ وجودهم في القسطنطينية بان يحاولوا محالفة الفاطميين في مصر ، ولم ينس الصليبيون نصيحة الامبراطور البيزنطي ، حيث تم الترحيب بهم وعقدت الاتفاقية المذكوره التي منحت انطاكية بموجبها للصليبيين وبيت المقدس للفاطميين [٢٧] ويتساءل المؤرخ ابن تغرى بردى عن موقف الفاطميين المتذبذب من الغزو الصليبي الى المشرق العربي وعدم مشاركتهم القوى الاسلامية التي بدات تتصدى بامكانياتها المحدودة لهذا الخطر فيقول « ولم ينهض الوزير الافضل باخراج عساكر مصر وما ادرى ماكان السبب في عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال » [٢٨] ويبدو ان هذا الموقف سببه على اقرب الاحتمال ، ان المسلمين كانوا حتى ذلك الوقت لايدركون طبيعة الحركة الصليبيه واهدافها فالفاطميون عندما وجدوا ان الصليبيين يهاجمون الاتراك السلاجقة المسلمين — اعداء الدولة الفاطمية الالداء — اقتنعوا في اقامة تحالف مع الصليبيين .

ولابد من القول ان اطماع الصليبيين المتمثلة في تأسيس امارات خاصة بهم في المشرق الاسلامي ، جعلهم يندفعون بحماس وقوة مكتسحين المسلمين لتحقيق اهدافهم ، فاوقع الرعب في نفوس المسلمين وارتبكت اجراءاتهم للتصدى . ونقرا عند ابن القلانسى عن اندحارات منى بها المسلمون امام الصليبيين ؛ فابتداء من سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م لم تنفع حشود المسلمين بالزحف نحو الصليبيين اذ « كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم والقهر لهم ، ولكن هروب جماعة من معسكر المسلمين لتخاذلهم فضعفت نفوس المسلمين وانهزموا ووصل الصليبيون الى سروج فتسلموها وقتلوا اهلها

(٢٠) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٣٢٩

(٢١) قدر ابن العديم عدد قتلى المسلمين باكثر من عشرين الف رجل وامراة وصبي (زبدة الحلب جـ٢ ص ١٤٢) في حين قدرهم ابن الاثير بما يزيد على مائة الف (الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ٩٦) .

(٢٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥ ، رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٣٣٣ .

(٢٣) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٣٣٢–٣٣٤ .

(٢٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٦ .

(٢٥) انظر عن موقف الفاطميين من الغزو الصليبي (د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية) (بحث منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية مجلد ١٦–١٩٦٩) .

(٢٦) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٣٢٥–٣٢٦ .

(٢٧) الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية جـ ١ ص ، ١٩٢ .

(٢٨) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة (دار الكتب المصرية، القاهرة — ١٩٢٩) جـ٥ ص١٤٧ .

وسبوهم ألا من أفلت منهم هزيما »(٢٩) كما فعلوا بالنسبة لمدينة حيفا وقيسارية وارسوف حيث « افتتحوها بالسيف وقتلوا اهلها ونهبوا مافيها »(٣٠) .

واستطاع بلدوين البولوني ان يحرز تقدما » كبيرا « بتوغله في جيوشه في بلاد الشام فيستولى على كثير من المواقع والمدن بالاضافة الى استيلائه على تل باشر والراوندان في شمال الجزيرة الفراتية حيث لم يصادف اية صعوبة (٣١) .

وبما ان ارمن الرها كانوا يساندون الصليبيين لذلك فقد سلموا اليهم مدينتهم التي كانوا يحكمونها(٣٢) فاسرع الصليبيون الى المدينة على راس قوة صغيرة من ثمانين فارسا » ، وقد استطاعت تلك القوة ان تدخل المدينة واستقبلت بكل مظاهر الغبطة والاحتفاء من قبل الارمن والمسيحيين عموما، وقدم هؤلاء جيشا » لمساعدة الصليبيين ايضا على احتلال مدينة سميساط، حيث تمكنوا من الاستيلاء على الضياع المكشوفة التابعة لهذه المدينة ونهبوها وقتلوا الكثير من سكانها (٣٣) فارتفاع السكان المسلمين في هذه المناطق مما ارتكبه الصليبيون من التخريب والنهب والقتل . واستمر الذعر يخيم على المسلمين ، فيما كانت الروح المعنوية تزداد ارتفاعا » عند الصليبيين بما وقع من سلسلة الاحداث التي ترامى لهم انها دليل على الرعاية الالهية لافعالهم(٣٤) . ولكن بتوغلهم نحو المشرق العربي بدا ايمانهم يتزعزع واحيانا نفدوا الثبات امام المسلمين غير ان هذا الايمان لم يتحطم نهائيا « وخاصة » بعد ان أصيب المسلمون بحالات التردي وعدم قوة المجابهة لاي تقدم يحرزه الصليبيون ، ولم تنفع التحذيرات التي وجهت الى كربوقا حاكم الموصل في هذه الفترة من قائده العربي وثاب بن محمود للمبادرة الى قتال الصليبيين الذين كانوا يتاهبون للدخول الى مدينة انطاكية ؛ على انه حينما شاهد الصليبيين في كامل عدتهم اخذ يتردد وبعث اليهم رسولا « من قبله يعرض عليهم انه على استعداد لان يناقش معهم شروط الهدنه . ولكن الصليبيين تجاهلوا رسوله ومضوا في سيرهم ، مما ساعدهم على المضي في قتال المسلمين ماحدث لكثير من امراء كربوقا من التخلي عنه ، ولم يبق مواليا » له الا سكمان بن ارتق وامير حمص ، وحتى هذان الاميران لم يصمدا امام الصليبيين وانصرفا عن قتالهم وبذلك تداعى الجيش الاسلامي وساد الذعر بين الجند ووقع فريسة للفوضى والخوف ، ولم يتوقف الصليبيون عن مطاردة المسلمين وقتلوا عددا « كبيرا » منهم . ووصل كربوقا الى الموصل في فلول جيشه ، غير انه اضاع ماكان له من السلطة والمكانه (٣٥) .

وكان ممن تداعى قائد قلعة انطاكية احمد بن مروان الذي كان يراقب سير المعركة عن كثب ، فقد اعلن استسلامه وبعث من قبله رسولا الى الصليبيين ، ويبدو انه كان قد عقد اتفاقا «سريا» مع القائد الصليبي بوهمند ، تعاهد بموجبه تسليم القلعة للصليبيين حال انتشارهم في المدينة(٣٦) ووصل انهيار المسلمين الى الحد الذي يشير اليه رنسيمان بانحياز احمد بن مروان وجماعته الى جيش الصليبيين وتحولهم الى المسيحية(٣٧) ؛ والى مايذكره ابن القلانسي بالتماس ظهير الدين طغتكين حاكم دمشق سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م مهادنة وموادعة الصليبيين ، حيث ترددت رسله الى بلدوين قائد الحملة الصليبيه التي كانت تتقدم نحو المشرق العربي فاستقر الامر بينهما على عقد اتفاق تنازل بموجبه المسلمون عن منطقة السواد وجبل عوف قرب دمشق وكتبت الشروط المهينه على هذا

---

(٢٩) ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٨ ، ابن الاثير ، الكامل جـ ١٠ ص ١١٣ .

(٣٠) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ص ١٣٩ .

(٣١) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية جـ ١ ص ١٧٤ .

(٣٢) كان يحكمها زعيم ارمني هو ثوروس Thoros منذ سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٥ م حيث انتزعها من السلاجقة ، وقد اعترف بالتبعية للامبراطور البيزنطي . وظلت الرها معقدة من جانب السلاجقة مما جعل ثوروس يرحب بالصليبيين (د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية جـ١ ص ١٧٢) .

(33) Grousset, Histoire des croisades, Paris, 1956, vol. I p. 55.

(٣٤) ساد الجو الذي اخذت تترعرع فيه الاحلام والرؤيات اذ كانوا يعتقدون بانها تصدر عن الله . (عن قصة شيوع هذه الرؤيات والاحلام انظر : رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٣٤٣-٣٥٠ .

(٣٥) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٣٥٤

(٣٦) يروى ابن العديم ، ان الصليبيين امنوا احمد بن مروان وانزلوه في دار بانطاكية واطلقوا اصحابه وسيروا معهم من يوصلهم الى اعمال حلب « زبدة الحلب من تاريخ حلب جـ٢ ص ١٢٧-١٢٨ » .

(٣٧) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٣٥٤

الالتزام (٣٨) ، كما أستقر الامر بين ظهير الدين طغتكين والصليبيين في السنة التالية وادى الى تقرير الموادعة على الاعمال والمسالمة ، فسلم للصليبيين حصن المنيطرة وحصن ابن عكار وان يحمل اهل حصن مصياث وحصن الطرفان الواقعة الى جنوب دمشق ، مالا معينا في كل سنة للصليبيين على سبيل القطيعة (٣٩) . ويمضي هذا المؤرخ ليقدم لنا صورة عن الهزائم التي لحقت بالقوات الاسلامية البحرية في السنة نفسها حيث وصل الاسطول المصري لنجدة المسلمين في بلاد الشام وهو مكون من تسعة عشر مركبا حربية فاستنجد الصليبيون باساطيل المدن الايطالية التجارية التي كانت تقوم بنقل الصليبيين القادمين من اوربا وتجوب المنطقة لمساعدتهم بحريا فانجدوهم باربعين مركبا مشحونة بالمقاتلة وزحف الصليبيون في البر والبحر نحو بيروت واشتدوا في القتال ، فقتل مقدم الاسطول المصري وخلق كثير من المسلمين « وانخذل الناس في البلد وايقنوا بالهلاك فهجم الافرنج على البلد فملكوه بالسيف قهرا «وغلبة» وهرب الوالي الذي كان فيه جماعة من اصحابه وحمل الافرنج فقتل هو ومن كان معه وغنموا ماكان قد استصحبه من المال ونهب البلد وسبى من كان فيه واسر واستصفيت اموالهم وذخائرهم »(٤٠) .

ومن الملاحظ ان ماكتبه ابن القلانسي وخاصة الفترة الواقعة من سنة ٤٠٥-٥٢٤هـ فيما يتعلق بتقدم الغزاة الصليبيين نحو المشرق العربي لفرض احكام سيطرتهم على الاراضي المقدسه ، كان اغلبه ينصب على الاخبار التي تؤكد تفوق الصليبيين واكتساحهم القوى الاسلامية او ليضطروهم على التسليم او المهادنه (٤١) .

ولعل من المفيد ، التنوية الى ماجاء به احد الباحثين من ان استيلاء الصليبيين على اجزاء واسعه من المشرق العربي الاسلامي عموما » في فترة قصيرة ٤٨٩-٤٩٨هـ كان بسبب ماتعانيه القوى الاسلامية من ضعف وتنازع ، فالخلافتان العباسية والفاطمية، لم تستطيعا ايقاف هذا الزحف كما ان السلاجقة انشغلوا في الصراع على السلطة فتبددت قواهم ولم يبق سوى الامراء المحليين في بلاد الشام والجزيرة ، لكي يتحملوا عبء القتال

(٣٨) ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٤ .
(٣٩) ن.م. ص ١٦٥ .
(٤٠) ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨
(٤١) ن.م. ص ١٧١-٢٢٧

ضد الصليبيين ، غير أنهم لم يتعاونوا لانجاح أي مشروع لطرد الغزاة او حتى الوقوف ضدهم (٤٢)، اما موقف الاراتقه(٤٣) وهم القوى الاسلامية الرئيسه في منطقة ديار بكر والذين كانوا يتركزون في امارات ثلاث هي ماردين وحصن كيفا وخرتبرت، من الصليبيين في الفتره الواقعة من ٤٩١-٥٠٧هـ فلم يكن واضحا ، فقد كانوا غير متحمسين للتحالف مع القوى الاسلامية للوقوف بوجه الصليبيين بصورة جدية في منطقة الشام والجزيره ، ويبدو ان انحذالهم امام زحف الصليبيين على بعض معاقلهم والاستيلاء عليها (٤٤) والصمت الذي لازم القوى الاسلامية الاخرى ، هو الذي جعلهم في هذا الموقف غير المحدد والمنحاز الى الصليبيين مما دعاهم سنة ٥٠٨ هـ/١١١٤ م الى الدخول في حلف مع الصليبيين والاشتراك معهم في حربهم ضد المسلمين وقد استمر ذلك حتى سنة ٥١٢ هـ /١١١٩م . ولكن ابن الاثير يعزو السبب في اقدامهم على الاعتضاد بالصليبيين وتحول سياستهم الى خوفهم ووجلهم منهم ، كما يعود ايضا الى مهاجمة الامراء السلاجقة لممتلكاتهم ، الامر الذي جعلهم يؤيدون موقف ظهير الدين طغتكين حاكم دمشق في مناوئته السلاجقة والتجائه للصليبيين في حينها (٤٥) . ويبدو ان هذا المؤرخ توصل الى قناعته التي كان يرددها الاخرون بخصوص العجز الذي انتاب حكام المسلمين بقوله « وكان ملوك المسلمين عاجزين عن نصرة دينهم » (٤٦) .

وتركت مذبحة بيت المقدس التي ارتكبها

(٤٢) عمادالدين خليل ، عمادالدين زنكي ص ١٣٥ .
(٤٣) ينتمون الى (ارتق بن اكسك) احد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه ٤٦١-٤٧٥ هـ الذي اقطعه القدس عام ٤٦٩ هـ وانتقلت بعد وفاته الى ولديه سقمان والغازي اللذين كان لهما بالاضافة الى القدس بعض القلاع مثل سروج والرها واستطاع سقمان الاستيلاء على مدن حصن كيفا وماردين ونصيبين في ديار بكر وتشكيل امارة محلية ظل يحكمها حتى وفاته عام ٤٨٩ هـ ، (انظر ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدا والخبر ، طبعة بيروت ١٩٥٩) جـ٥ ص ٤٦١-٤٦٩ .
(٤٤) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ١ ص ٢٩٧-٢٩٨ .
(٤٥) الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ١٨٩ ، ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة جـ٢ ق١ (تحقيق يحيى عبارة ، دمشق - ١٩٧٨) ص ٢٥-٢٦ .
(٤٦) التاريخ الباهر ص ٣٢ ، وينتقل عنه ابو شامة ، الروضتين جـ١ ص ٧٧ .

الصليبيون أثرا عميقا في جميع العالم الاسلامي(٤٧) . فقد كرست الشعور بالانهزامية والعجز عند المسلمين امام الجيوش الصليبيه المتدفقة ، بما اتصفت بها من عنف ووحشية(٤٨) ، اذ لم ينج من القتل احد من المسلمين في مدينة بيت المقدس حيث « تمكنت سيوف الافرنج من المسلمين فاتى القتل على الراجل والمطوعة واهل البلد وكانوا زهاء عشرة الاف نفس(٤٩) » وذكر بعض المؤرخين ان المدينة شهدت عند دخول الصليبيين اليها مذبحة رهيبة حتى اصبح البلد «مخاضه واسعة من دماء المسلمين» حتى انها اثارت اشمئزاز ومخاوف الغزاة انفسهم(٥٠) . وظلت هذه المذبحة تثير الاسى في قلوب المسلمين بدون ان يحركوا ساكنا » ، فقد ادخلت الرعب بين صفوفهم وضاعفت في خوفهم . وكان الفاطميون في مصر قد تلقوا الاخبار باللامبالاة وعدم الاكتراث ، كما هو الحال بالنسبة للخليفة العباسي الذي لم يعبأ هو الاخر بما حل بمسلمي بيت المقدس، وكذلك السلطان السلجوقي بوكياروق ، حيث لم يبد هؤلاء شيئا من الاهتمام ،بل آثروا الصمت(٥١) حتى ان الشاعر ابي المظفر الابيوردي الذي عاصر الاحداث كان يتوجع لما حل بالمسلمين من المحن الاحداث وعدم الاكتراث والاكتفاء بالبكاء والنحيب ، وقد انشد مايدل على ذلك قائلا :

مزجنا دماء بالدموع السواجم
فلم يبق منا عرضه للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه
اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العين ملء جفونها
على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم
ظهور المذاكي اوبطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم
تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

(٤٧) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص ٤٠٥ .
(٤٨) ن.م. ص ٤٠٥
(٤٩) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧ .
(٥٠) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ص ٩٨-٩٩ ، وذكر ابن العبري « ان عدد قتلى المدينة يزيد على سبعين الفا من المسلمين » تاريخ مختصر الدول (بيروت – ١٩٥٨) ص ١٩٧ .
(٥١) ابن الاثير ، المصدر نفسه ج ١٠ ص ٩٨-٩٩ ، تم انظر : د. سعيد عبدالفتاح عاشور الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .

أرى أمتي لايشرعون الى العدى . . . . . .
رماحهم والدين واهي الدعائم(٥٢)

ويبدو ان سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين كان ضمه الانهيار الاسلامي اذ ما لبثت المواقع الاسلاميه تفقد مابقي لها من الصمود امام الهجمات الصليبيه العادره ، فسقط تعر جبيل « وغدروا باهله وصادروهم واستنفدوا اموالهم واموالهم بالعقوبات وانواع العذاب(٥٣) ، واعقبه نفر عكا حيث « ملكوه بالسيف»(٥٤) ومدينة عكا التي حوصرت « وعدم فيها القوت » فتم احتلالها (٥٥). ثم شن الصليبيون هجومهم على المواقع الاسلامية التي كانوا قد هاجموها واحتلوها من قبل او عقدوا اتفاقيات مع حكامها الذين حرروا انفسهم منها على مايبدو ، فبدأوا بطرابلس(٥٦) حيث جمعوا حشودهم وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها الذين « ايقنوا بالهلاك ودلت نفوسهم لاحتمال اليأس ، فشد الافرنج القتال عليها فملكوها بالسيف ونهبوا مافيها واسروا رجالها ونساءها واطفالها ثم استصفيت اموالها واستثيرت ذخائرها ونزل بهم اشد البلاء ومؤلم العذاب»(٥٧)ونزل الصليبيون على بانياس فاحتلوها(٥٨) ثم نشروا سيطرتهم على طرسوس وشيزر وماوالاهما(٥٩) وعلى مدينة صور التي « ضايقوها بالقتال الى ان خفت الاقوات فيها وعدمت الميره »(٦٠) .

على ان المصادر الاولية ، تبدأ منذ سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م بتزويدنا بمعلومات مفيدة عن صمود العرب والمسلمين عموما » امام اجتياح الصليبيين للمعاقل والمواقع الاسلامية ، وتحقيق ماوطدوا العزم على ضرورة طرد الصليبيين من المشرق العربي ، كما بدأنا نقرأ مايشير في هذه الفترة ايضا « الى نهاية الانهيار الذي تعرض له المسلمون ابان الغزو الصليبي

(٥٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٩٨-٩٩ ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ج١ ص ٢٢٨-٢٢٩ .
(٥٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ١١٤٢
(٥٤) ن.م. ص ١٤٤
(٥٥) ن.م. ص ١٦٢
(٥٦) اشير في بداية البحث الى موقف بني عمار الذين كانوا يحكمون امارة طرابلس حيث عقدوا اتفاقية مع الصليبيين اكدوا فيها ولاءهم وتبعيتهم لهم .
(٥٧) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ص ١٦٧ .
(٥٨) ن.م. ص١٦٤ .
(٥٩) ن.م. ص ١٦٧-١٦٨ .
(٦٠) ن.م. ص ٢١١

للاراضي المقدسة في بلاد الشام وفلسطين وبلاد الجزيره الفراتية . وابتداءا » من ظهور عماد الدين زنكي صاحب الموصل كقوه مؤثره في المنطقه ووصوله الى ضواحي حلب « عازما على الجهاد وملتمسا المعونة والاسعاد على محاربة الافرنج الاضداد (٦١) نلاحظ تغيرا في ميزان القوى لصالح المسلمين الذين كانوا حتى وقتذاك مستعدين لان يقبلوا الصليبيين على كره منهم بسبب تدهور مواقفهم وتفرق وحدتهم السياسية والعسكرية من جهة . وعلى ان الصليبيين يشكلون عاملا جديدا فيما ساد ذلك العصر من سياسات متباينة(٦٢) من جهة اخرى ويوضح ابن الاثير ، ان وقوف عماد الدين زنكي ضد الصليبيين ومشاركته في الهجوم الذي شنه في فلسطين كل من مودود بن التونتكين وظهير الدين طغتكين ، يمثل شجاعة فائقة « لم يسمع بمثلها » (٦٣) ولعل ذلك ينطبق على الامراء والحكام المسلمين الاخرين على اقرب الاحتمال ، فقد بدا هؤلاء يتقربون من بعضهم ويحاولون حل مشكلاتهم ويعقدون التحالفات فيما بينهم لمواجهة عدوهم المشترك وهم الصليبيون ومن المحتمل جدا ، ان التاثير الذي تركه عماد الدين زنكي في نفوس المسلمين بتحدي هؤلاء الغزاة والتصدي لهم كان قد اثمر في ايقاد جذوة هذا النهوض وتزويد المسلمين بالمبررات للدفاع عن دينهم واوطانهم التي اخذت تجوس فيها جند الصليبيين .

وعلى اثر استيلاء المسلمين على حلب سنة ٥٢٧ هـ واتخاذها نقطة انطلاق لهم في بلاد الشام(٦٤) لم يلبث الصليبيون ان هاجموها ، ثم عرجوا نحو قنسرين ، لكن المسلمين صدوا هذا الهجوم ومنعوهم من التوغل واوقعوا بهم هزيمة منكرة وقتلوا منهم اكثر من مائة فارس ، ثم عاد الجيش الاسلامي الى حلب « ظافرا ومعه الاسرى»(٦٥) وكان لهذه الواقعة التي احرز فيها المسلمون نصرا كبيرا صدى واسعا « في العالم الاسلامي استنادا للمصادر الاولية وذلك بما احدثته من ايقاظ لمشاعرهم وحفزتهم للوقوف ضد الزحف الصليبي المتفاقم والتصدي له .

(٦١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٧ .
(٦٢) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٤٠٥
(٦٣) التاريخ الباهر ص ١٨-١٩
(٦٤) ابن الاثير ، المصدر نفسه ص ٢٧ .
(٦٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٠-٢٤١ .

غير أن سقوط مملكة الرها الصليبية بيد المسلمين سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ، قد توج النهوض العربي الاسلامي وجعله في مرحله جديده من مراحل نموه وازدهاره ، واعطى المسلمين املا جديدا اذ « كان فتحا عظيما لم ينتفع المسلمون بمثله وطار في الافاق ذكره وطاب بها نشره وسارت به الركاف وامتلات به المحافل في الافاق وشهده خلق كثير من الصالحين والاولياء واستبشر به الابرار والاصفياء » (٦٦) ويعترف الاستاذ رنسيمان بان هذا السقوط قد تردد صداه في جميع انحاء العالم ، اذ تجدد الامل عند المسلمين بعد ان تحطمت امارة صليبيه قامت دخيله في جوف بلادهم وانتصر الصليبيون على البلاد التي تمع على ساحل البحر المتوسط(٦٧) . كما اثار سقوط الرها ، الرعب في اوربا ومخاوف المؤسسات الصليبيه ، وان لل مابعثته الحرب الصليبيه الاولى من اهتمام وحماس قد هدات ريحه(٦٨) ، وقد وصل الحال في خطوره الاوضاع في بلاد الشام والجزيره ، ان تحولت الى اتجاه مضاد لمصالح الصليبيين واهدافهم مما جعلهم ينشطون في الدعوه الى حمله صليبية جديده(٦٩) وفي الواقع ، ان انهيار امارة الصليبيين ، اوضح مدى قدره المسلمين بقيادة عماد الدين زنكي على مجابهه القوى الصليبيه كما انه مهد الطريق امام حكام المسلمين ، الذين اعقبوا عماد الدين زنكي لاستكمال مابداه واسقاط الامارات الصليبية الاخرى(٧٠) .

ويبدو ان الصليبيين لم يدركوا في بداية الامر المغزى التاريخي للتحرك العربي الاسلامي باستيلائهم على مدينة الرها ، فقد كانت هذه الخطوة افاقة عامة لادراك الواقع وبداية الهجوم العربي الاسلامي كما يمثل (فتح الفتوح)(٧١) . اما بالنسبة للصليبيين فهي الخطوه الاولى في هدم البناء الذي شيده الصليبيون في المشرق العربي الاسلامي(٧٢) اذ اكتسح المسلمون مراكز تجمعاتهم ومعاقلهم في منطقة الرها ، فاصبح اهلها بعد الخوف آمنين وعلى جهاد الامن وادعين وهم على آثارهم يكسعون ادبارهم ويوحشون منهم ديرهم والكفرة يجدون في

(٦٦) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٦٩ .
(٦٧) تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص ٢٨٣ .
(٦٨) رنسيمان ـ تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص ٤٠٠ .
(٦٩) د. عمادالدين خليل ، عمادالدين زنكي ص ١٥٤ .
(٧٠) ن.م. ص ١٥٣
(٧١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٩٨
(٧٢) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٥٩٥ .

الهرب »[٧٢] وفي ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م اتجهت الجيوش الاسلامية الى مدينة « بروج » فاستولت عليها بعد ان لاذت حاميتها الصليبية بالفرار ؛ ثم مالبثت القلاع والحصون المجاورة لها ، ان اخذت تسقط بيد المسلمين بحيث « جعل لايمر بعمل من اعمالها ولامعقل من معاقلها فينزل عليه الاسلم اليه في الحال »[٧٤] وبدأت الروح المعنوية للصليبيين تتحطم ، فيما اخذ المد العربي الاسلامي يتعاظم ، فتم الاستيلاء « على كثير من الافرنج قتلا واسرا وتحكم السيف في أكثر الراجل ، فتفرقوا في اعمالهم ومعاقلهم مقلولين مخذولين خاسرين »[٧٥] .

وفي العام التالي ، اتسع نطاق الغارات والهجمات التي كان يشنها المسلمون على مواقع الغزاة فقد استطاع الجيش الاسلامي ان يشن هجوما مباغتا « على بلاد اللاذقية واعمالها . لم يكن يتوقعه الصليبيون فاسر منهم سبعة الاف اسير ومني الصليبيون بنكبة لم تحصل مثلها من قبل[٧٦] .

ويوما بعد آخر ، بدانا نلمس سريان روح جديدة في المشرق العربي تتمثل باسهام اوسع القوى السياسية فيه للتصدي لهؤلاء الغزاة . وبفعل الضربات التي كانت تسددها هذه القوى للصليبيين اتجه هؤلاء للايطاليين لينجدوهم ، فأخذت المدن الايطالية التجارية ترسل من حين لاخر اسطولا ليسهم في الاستيلاء على ميناء من الموانىء . ان ذلك لم يكن ليحدث الابفضل ماابدته جحافل المسلمين من مقاومة واستنزاف لموارد الغزاة واسلحتهم ومؤونتهم ومكامن قوتهم ، سواء بالنسبة لهم اولحلفائهم[٧٧] . وقد بلغ الصليبيون من الضعف بحيث لم يتمكنوا من مهاجمة دمشق سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وذلك على الرغم من احتلالهم لبعض القرى الامامية مثل المزة والربوة ، فاستغل المسلمون ضعفهم واخذوا يهاجمونهم بالجيوش التي حشدوها والتي اشترك فيها حتى الزعماء والفقهاء[٧٨] ؛ ولم يلبث المسلمون حتى هزموهم فايقن الصليبيون « بالهلاك والبوار وحلول الدمار »[٧٩] .

لقد اثبتت النتائج التي انتابها الحملة الصليبية الثانية صحة السياسة التي كان يسير عليها المسلمون في المشرق العربي في هذه الفترة لافشال هذه الحملة وجعلها عاجزة عن تحقيق هدف واحد من اهدافها . وقد ادت على مايبدو الى عكس النتائج التي رمت اليها ؛ حيث انحطت هيبة الصليبيين ومكانتهم في بلاد الشام كما كانت ضربة قاصمة لكرامتهم وتبددت اسطورة فرسان الغرب الذين لايقهرون ؛ التي نمت وترعرت اثناء مغامرة الحرب الصليبية الاولى ؛ بينما انتعشت آمال العالم الاسلامي[٨٠] وازداد نفوذ المسلمين وارتفعت روحهم المعنوية [٨١] وهكذا كانت خاتمة الحرب الصليبية الثانية ؛ التي لم تضارعها حملة في العصور الوسطى حيث انعقدت عليها آمال كبيرة ووضع خطتها البابا ودعا اليها القديس برنارد ، بما اشتهر به من فصاحة وقادها اعظم ملكين في غرب اوربا ، وقد بلغت نهايتها المشينة الذليلة بارتدادها المخزي عن دمشق . واصبح كل ما انجزته انها بذرت الشكوك بين الصليبيين القادمين حديثا من الغرب وبين الصليبيين النازلين بالمشرق العربي[٨٢] . ان عدم وصول الحملة الصليبية الثانية الى الاراضي المقدسة وتعرضها للخيبة والفشل ، شجع القوى السياسية في المشرق العربي للاغارة على مواقع الصليبيين وكانت امارة انطاكية اولى الامارات الصليبية التي تعرضت لهجمات المسلمين عقب فشل هذه الحملة بحيث كسر الصليبيون بمعركة حاسمة وهزموا هزيمة نكراء وقتل عدد كبير من فرسانهم وزعمائهم [٨٣] ، كما تم الاستيلاء على حمص سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وحوصرت قلعة « انب » الواقعة قرب معرة النعمان ؛ وتمكن المسلمون من ابادة جيش الصليبيين ، فقتل ريموند امير انطاكية ورينو صاحب كيسوم ومرعش . ويصور لنا المؤرخ ابن واصل ؛ مدى غبطة المسلمين وعلوهممهم بمقتل ريموند اكبر قائد للصليبيين الذي « كان عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم »[٨٤] .

---

(٧٢) ابن الاثير ، المصدر نفسه ص ٦٩ .
(٧٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠ .
(٧٥) ن.م. ص ٢٨٠ .
(٧٦) ن.م. ص ٢٥٥-٢٥٦
(٧٧) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ ٢ ص ٤٠٠
(٧٨) اسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار (نشر وتحقيق فيليب حتي برنستون ـ ١٩٣٠) ص ٩٤ .
(٧٩) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٨-٢٩٩ .
(٨٠) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٥٧
(٨١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ص ٣٠٠ .
(٨٢) رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٦٣
(٨٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ حـ١١ ص ٥٥
(٨٤) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب هذا (تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة) ١٢١ ص .

وبلغ المشرق العربي الاسلامي في عهد نور الدين محمود صاحب حلب اوج تحديه للصليبيين وذلك بتقدم جيوشه نحو ميناء انطاكية الذي كان يسيطر عليه الصليبيون ثم تهديده ومحاصرته فاستولى على الصليبيين بداخله الهلع فعرضوا على المسلمين كل مايمتلكون من اموال ومتاع لترك مدينتهم فاستبقى نور الدين محمود ؛ فرقة من جيشه امام انطاكية لتبقى على حصارها وانصرفت الجيوش الى اقامية فتم الاستيلاء عليها(٨٥) ثم بدا بحصار حازم فاخضعها وبذلك نجح المسلمون في الاستيلاء على جميع ممتلكات امارة انطاكية شرقي نهر العاصي . كما قام سلاجقة آسيا الصغرى والاراتقة بالهجوم على مرعش والاجزاء الشمالية من منطقة الرها بجيش مشترك ، استطاع ان يؤسر جوسلين الثاني الذي كان يبذل محاولاته لاسترداد امارة الرها ، ثم سلم الى نور الدين محمود فسجنه في حلب . وقد اعتبر اسر هذا القائد الصليبي من (اعظم الفتوح) حيث عزز من حركة المسلمين ونشاطهم العسكري في المنطقة فاتجهت جيوشهم الى رعبان وتل باشر وقلعة عزاز وتم اخضاعها الامر الذي ساهم الى حد كبير في اضعاف الصليبيين وفت في عضدهم(٨٦) ومن الجدير بالاشارة الى ان المحاولات التي كان يبذلها نور الدين محمود والتي كانت تستهدف الاستيلاء على دمشق وانتزاعها من الاتابك مجير الدين آبق حليف الصليبيين منذ سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١م ، هي استمرار للنشاط العسكري في المشرق لقمع الصليبيين وحصر اخطارهم ومن ثم الانقضاض عليهم نهائيا » ؛ وقد اتيحت الفرصة لهذا القائد ، ان يستغل سيطرته على دمشق فدخلها سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (٨٧) حيث لم تلبث ان نشبت حرب طويلة الامد بين نور الدين محمود والصليبيين ، استهدفت الوجود الصليبي في بلاد الشام ودلت دلالة قاطعة على التفوق والمعنويات العالية التي كان يتميز بها المشرق ، وعلى ما كان يعانيه الصليبيون من خيبة امل مريرة .

ان تصاعد النشاط العسكري في المشرق بهذه الروحية دفع المسلمين الى مهاجمة امارة انطاكية الصليبية مجددا » فتقدمت العساكر نحو حصن حازم وهي مؤلفة من قوات فخر الدين قرا ارسلان الارتقي صاحب حصن كيفا في ديار بكر ونجم الدين آلبي صاحب ماردين وقطب الدين مودود صاحب الموصل (٨٨) ، واشتبكت مع الصليبيين في موقعة حاسمة هزم فيها الجيش الصليبي هزيمة ساحقة حيث قتل منهم بضعة آلاف واسر جميع امراء الصليبيين الذين كانوا يقودون الجيش وفي مقدمتهم بوهمند الثالث امير انطاكية وريموند الثالث امير طرابلس وجوسلين الثالث دي كورتناى وهيو الثامن لوزجنان فضلا عن حاكم قيليقية البيزنطي وتم الاستيلاء على حصن حارم فاصبح الطريق مفتوحا » اما الجيوش الاسلامية الى انطاكية ؛ غير ان المسلمين آثروا الاتجاه نحو بانياس التابعة لمملكة بيت المقدس فسيطروا عليها وجعلوها قاعدة عسكرية لهم (٨٩) لذلك اصبح من العسير على الصليبيين ان يستردوا قلعة حارم ومدينة بانياس من المسلمين ؛ بسبب تمركز العساكر الاسلامية في هذن الموقعين الاستراتيجيين ؛ وبسبب تشتت قوة الصليبيين العسكرية وانحطاطها مما اتاح للمسلمين بقيادة نور الدين محمود ان يقوم بهجمات مفاجئة على الحصون الصليبية الواقعة على منحدرات جبال لبنان سنتي ٥٦١ هـ و ٥٦٣ هـ بينما اغار قائده اسدالدين شيركوه على اقليم ماوراء نهر الاردن حيث دمر قلعة اقامها الصليبيون في كهف بجنوب عمان (٩٠) وكان الصليبيون يعقدون الآمال على زيارة الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين الى المشرق العربي ؛ غير ان هذه الزيارة كانت مخيبة لهم ، اذ انها ساهمت في اذلالهم الى حد كبير ،وذلك حينما بدا الامبراطور في موكبه الحافل بالاتزان والوقار والهيبة ومن حوله كبار امراء الصليبيين وكانهم اتباعا اذلاء(٩١) وكانوا يتوقعون ان ينصرهم ضد المسلمين ؛غير انه لم يفعل ذلك . ولم يبق للصليبيين الا ان يعتمدوا على انفسهم وعلى المساعدات التي كانوا يتلقوها من غرب اوربا (٩٢) ؛ بيد ان ذلك لم يتوفر لهم بسهولة ويسر ، مما شجع المسلمين على الاستمرار في

(٨٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٥ .
(٨٦) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية حـ ٢ ص ٦٢٦ .
(٨٧) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٢٢

(٨٨) ابن الاثير ، المصدر نفسه ص ١٢٢-١٢٣ ، د. خاشع المعاضيدي ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي (ط١ ، بغداد ـ ١٩٧٦) ص ٢٠٤ .
(٨٩) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ٢ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ .
(٩٠) ن.م. ص ٦٠١
(٩١) رنسيمان الحروب الصليبية حـ٢ ص ٦٠٠-٦٠١ .
(٩٢) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية حـ ٢ ص ٦٥٧ .

مقاومة عدوهم بروحية عالية واعطاهم المزيد من الاندفاع لطرد الغزاة الدخلاء من بلادهم .

وهناك كثير من المعلومات المفيدة التي يردت في المصادر الاولية وفي مقدمتها ابن القلانسي(٩٢) وابن الاثير (٩٤) وابن شداد (٩٥) وابن واصل(٩٦) وغيرهم ، تلقي الضوء على هذه الروحية التي كان يتميز بها اهل المشرق العربي ، كما يمكن ان نستدل منها على تصميدهم للمواجهات العسكرية والاشتباكات مع الصليبيين ومواصلة التصدي لهم في جميع انحاء هذه البلاد ، وذلك بعد ان باءت بالفشل فكرة التحالف بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين (٩٧)

وعلى الرغم مما بذله المسلمون من جهود عظيمة بالوقوف ضد الصليبيين واستئصال شافتهم من المشرق العربي عموما ومن الاراضي المقدسة في فلسطين بصورة خاصة بتكوين الجبهة الاسلامية المتحدة بين القوى الاسلامية (٩٨) ، والمناداة بالجهاد وتحشيد الجيوش والعساكر ، فان التسليم بالامر الواقع في المشرق بوجود الامارات الصليبية الاربع في بيت المقدس وانطاكية والرها وطرابلس ، فضلا عن المواقع والحصون الاخرى المنبثة في ربوع المشرق. وينبغي الاعتراف به من لدن اغلب القوى السياسية في المنطقة وفي الاقل بعد وفاة نور الدين محمود صاحب دمشق . غير ان ظهور صلاح الدين الايوبي على مسرح الاحداث ووقوفه ضد الوجود الصليبي في المشرق العربي ، اوجد مرحلة جديدة من الافاقة العامة سرت في جميع انحاء المشرق . هذه الافاقة تقوم على اساس رفد الجهود والمساعي التي كان يبذلها صلاح الدين الايوبي بهذا الشان بالوقوف الى جانبه والاستجابة لندائه وامتشاق السلاح في جيوشه .

ان النشاطات العسكرية لجيوش صلاح الدين الايوبي والتي توجت باسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية والقضاء على كثير من المواقع والمدن التي استحوذوا عليها والحيلولة دون اتحاد قواهم في بلاد الشام واتساع حركة الجهاد الاسلامي ضد الوجود الصليبي تمثل قمة هذه الافاقة فمنذ سنة ٥٧٦ هـ/١١٨٠م حتى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م احرزت الجيوش الموحدة بقيادة صلاح الدين الايوبي ، الانتصارات المتتالية على الغزاة الصليبيين . وقد انخرط في هذه الجيوش جميع الناس الذين يستطيعون حمل السلاح من كافة العناصر . العرب والاكراد والتركمان وغيرهم حتى بلغ الجيش الذي يأتمر بأوامر صلاح الدين الايوبي (٠٠٠ ر ١٢) رجل من الفرسان والمشاة(٩٩) لقد ألهم صلاح الدين الايوبي جميع العناصر والقوى التي كانت تهدف الى وحدة العالم الاسلامي في وجه الغزاة وقام بجمعها حوله وقد حقق ذلك بفضل عزمه وثباته وتكرانه للذات وتواضعه ودفاعه المعنوي عن الاسلام ضد اعدائه وضد من ينتمون اليه في الظاهر .(١٠٠)

ان الاتجاه العسكري لدى صلاح الدين الايوبي كان قد احتل في ذهنه المكان الاول ، الامر الذي جعله ينجح في حشد الحملات العسكرية التي كانت تبعث على الدهشة عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م والعام التالي له ، ليس بفضل مقدرة عسكرية واستراتيجية او براعة سياسية ، فحسب بل وكذلك بفضل الشعور الملهم بالنصر والمعزز بالاقتدار لدى جميع الناس في المشرق العربي .

ونتيجة لانتشار هذه الافكار بين اهل المشرق العربي دخلت جميع البلاد السورية والرها وسروج

---

(٩٢) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٧-٣٥٨

(٩٤) الكامل في التاريخ ، الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية .

(٩٥) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية « سيرة صلاح الدين » .

(٩٦) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب الجزء الاول والثاني.

(٩٧) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية حـ٢ ص ٦٥٧ .

(٩٨) يعزو الاستاذ ارنست باركر Ernest Barker نجاح الصليبيين في بداية الامر الى ما ساد العالم الاسلامي من الاختلاف السياسي والديني ، لذلك سمى القادة المسلمون امثال مودود بن التونتكين وعمادالدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي الى القضاء على اسباب هذه الفرقة مما ادى الى توحيد مصر والشام واعالي الجزيرة ، فتم حصر الصليبيين على الساحل ثم الى ذلك ازالة الخلافة الفاطمية فتحققت الوحدة الروحية للعالم الاسلامي فتيسر لصلاح الدين الايوبي ان يقهر الصليبيين بفضل تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة (الحروب الصليبية طـ٢ ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ ترجمة د. السيد الباز العريني ١٩٦٧/ ص ٧ ثم انظر حول هذا الموضوع ايضا : د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية حـ ٢ ص ٦٤٢ .

(٩٩) انظر حول ، جيوش صلاح الدين الايوبي (فرق الجيش واعطياته وعناصره وسلاحه وعدته وفوائده الاضافية ومؤنه :
السير هاملتون جب ، صلاح الدين الايوبي ـ دراسات في التاريخ الاسلامي (بيروت ـ ١٩٧٣) .

(١٠٠) جب ، المصدر نفسه ص١٩١-١٩٢ .

ونصيبين ودبار بكر وحلب في الدولة الموحدة القائمة على شعورهم بضرورة مواجهة الصليبيين وطردهم بالقوة من الاراضي المقدسة ، وذلك على الرغم من الاستكانة التي يبديها بعض حكام المسلمين بسبب وصول الحملة الصليبية الثالثة وما خلقته من اوضاع جديدة في المشرق الاسلامي عموما . ولكن النشاط العسكري لصلاح الدين الايوبي اتخذ شكل حركة واسعة تقوم على التفهم الصحيح لواقع المسلمين وجدية الوقوف ضد هؤلاء الغزاة .

ومن البداهة القول انه كلما تتفهم القوى السياسية في المشرق العربي الاسلامي دعوة صلاح الدين الايوبي الى مجابهة عسكرية قوية وموحدة بوجه هذا الخطر المتفاقم ، تصبح هذه الدعوة اكثر قوة وفاعلية . وقد استجاب الناس الى نداء صلاح الدين الايوبي في الدعوة الى تحشيد جيش كثيف للاغارة على فلسطين ، حيث اجتاز به نهر الاردن ودخل بيسان ، فتنادى الصليبيون للتحالف ضد هذا الهجوم وتجمعت عساكرهم ، غير ان الخلافات اشتدت بينهم حول التقدم فمنهم من اراد مهاجمة جيوش صلاح الدين الايوبي بينما اظهر بعضهم التردد[١٠١] ولكنهم ازاء الظروف الجديدة ، فقد تجمعوا في صفورية بانتظار مواجهة الجيوش الاسلامية حيث التحقت بها الامدادات العسكرية من مصر وعسكرت امام اسوار الكرك وهو حصن كان يسيطر عليه ريجنالد شاتيون ، ثم انضمت اليها كتائب بعث بها الامراء الاراتقة ، كما وصلت عساكر من حلب والموصل وماردين[١٠٢] حتى اضحى الجيش الذي يقوده صلاح الدين الايوبي اضخم جيش يستعرضه في عشترا بحوران[١٠٣] حيث اجتاز به نهر الاردن عند سن النبرة واسقط مدينة طبرية ، ولما بلغ قرية حطين طوق الجيش الصليبي تطويقا محكما ثم بدا الهجوم الكاسح عند طلوع الفجر فلقي عدد كبير من الصليبيين مصرعهم ووقع آخرون في الاسر وبدات قواتهم في الانهيار ولقي اسقف عكا مصرعه[١٠٤] واضحى الصليب المقدس « صليب الصلبوت »[١٠٥] بحوزة المسلمين ، ويبدو ان الافاقة الاسلامية قد بلغت ذروتها ، ويدل عليها ماوصلت اليه حال الصليبيين حتى بعد اتحادهم وتولى ريموند كونت طرابلس قيادة مقدمة الجيش الصليبي والملك جاي ملك بيت المقدس قيادة قلب الجيش وريجنالد شاتيون قيادة مؤخرته ، حيث قتل عدد من الصليبيين واسر آخرون ، وكان ممن اسر الملك جاي وشقيقه املريك وريجنالد شاتيون وابن زوجته همفري صاحب تبنين فضلا عن عدد كبير من صغار بارونات المملكة[١٠٦] .

لقد جرت في معركة قرون حطين ، ابادة اضخم جيش يحشده الصليبيون ، وضاع الصليب المقدس ، وكان المنتصر صلاح الدين الايوبي الذي اصبح قائدا للمشرق العربي الاسلامي بافكاره وافاقته ، التي تواصلت سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م بتحركات الجيش نحو عكا ، حيث استسلمت بسهولة ثم توجهت السرايا لتخضع المدن والقلاع في منطقة الجليل والسامرة وقلعة تبنين ، ثم القى الحصار البحري حول يافا وتم الاستيلاء عليها بالقوة واذعنت صيدا وبيروت والجبيل للجيش الاسلامي وارغم حصن غزة وعسقلان على الاستسلام ايضا . كما اقسم صلاح الدين الايوبي ان ينال مدينة بيت المقدس « بحد السيف » وعسكر امام اسوارها واتخذ مواضعه على جبل الزيتون ، وصار يوسع صلاح الدين الايوبي ان يفتحها متى شاء ، غير ان الصليبيين اذعنوا لشروط الصلح فدخلت قواته المدينة[١٠٧] ومعلوم ان المبادىء والافكار في المشرق العربي الاسلامي وعمق يقظته وادراكه السليم لواقعه ، هو الذي دفع بعض مؤرخي الحروب الصليبية من الغربيين الى القول بان المسلمين

---

(١٠١) يرى ريجنالد شاتيون ، مهاجمة الجيوش الاسلامية ، بينما اظهر الملك جاي وصي عرش بيت المقدس ، التردد ، في حين اشتد اصرار ريموند كونت طرابلس بالابتعاد عن حرب صلاح الدين لانها ستودي بهم (رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ٢ ص ٧١٠)

(١٠٢) ابن واصل ، مفرج الكروب حـ٢ ص١٨٦-١٨٧

(١٠٣) ن.م. ص ١٨٧ .

(١٠٤) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ٢ ص٧٤١

(١٠٥) وهو قطعة من الخشب كانوا يدعون بان المسيح صلب عليها ونقل هذا الصليب الى جزيرة قبرص بعد اجلاء الصليبيين عن الشام ثم استولى عليه المسلمون عند فتحهم لهذه الجزيرة سنة ١٤٢٦ م (ابن واصل ، المصدر نفسه ص ١٨٩ ، رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٧٤١) .

(١٠٦) ابن واصل ، مفرج الكروب حـ٢ ص ١٩٤-١٩٥ ، رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٧٤١-٧٤٢ .

(١٠٧) دخلت قوات صلاح الدين الايوبي مدينة بيت المقدس يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ الموافق ٢ اكتوبر سنة ١١٨٧ م وهو اليوم الذي يجرى فيه الاحتفال بعيد الاسراء والمعراج من كل عام (ابن شداد النوادر السلطانية ص ٨١-٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب حـ٢ ص ٢١١

الظافرين بقيادة صلاح الدين الايوبي ، اشتهروا بالاستقامة والانسانية والتسامح والمروءة والشجاعة والعزم ، بينما كان الصليبيون منذ ثمان وثمانون سنة يخوضون دماء ضحاياهم ، ولم تتعرض الان وبعد ان دخلت الجيوش الاسلامية مدينة بيت المقدس ، دار من الدور للنهب ، ولم يحل باحد من الاشخاص مكروه ، اذ صار رجال الشرطة بناء على اوامر صلاح الدين الايوبي يطوفون بالشوارع والابواب يمنعون كل اعتداء يقع على السكان(١٠٨) .

وتقدم جيش صلاح الدين الايوبي بعد الانتهاء من استرداد بيت المقدس (١٠٩) الى حصنى الشوبك والكرك ، بحيث استسلمت الاولى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م ثم اذعنت قلعة صفد في السنة نفسها وسلم الصليبيون ؛ قلعة كوكب على نهر وادي نهر الاردن الى الجيش الاسلامي وجرى احتلال قلعة هونين والبقيعة وجبلة واللاذقية وصهيون وقلعة بكاس الشفروسرمين وبرزيه وبغراس وحصن دريساك وخسر الصليبيون عددا من قادتهم امام عكا ومنهم فارس انكليزي كبير اسمه « رالف التاربيا » وكان لمقتله اثر كبير على تداعي القوات الصليبية وفرارها من المعركة (١١٠) .

استمرت متاعب الصليبيين وشدائدهم ، فيما تتوارد الامدادات الى صلاح الدين الايوبي . ومما زاد في بؤس الصليبيين تفشي الامراض بينهم حيث هلك عدد من قادتهم ومنهم « ثيبا لدكونت بلوا وشقيقه ستيفن كونت سانكير وفردريك دون سوابيا » . وازاء تصميم اهل المشرق العربي الاسلامي وبما سرى بينهم من شعور الاطمئنان والثقة العالية بالنصر وبما حل بالصليبيين من مآسي ونكبات استنجد الصليبيون بالغرب فانجدوهم ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يواجهوا قوة جيوش المشرق التي غنتها الامدادات المستمرة من سنجار ومصر والموصل وعساكر الاميرين العربيين في شيزر وحماة(١١١) .

وبقى الصراع محتدما بين المشرق العربي الاسلامي وبين الصليبيين الذين لم يستطيعوا ان يستردوا سيطرتهم ومكانتهم حتى وفاة صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٨٣ م وذلك بفضل مالدى اهل المشرق من قوة وروح خلقتها الافاقة بوجود صلاح الدين الايوبي الذي ترجع انتصاراته الى رد الفعل الحتمي عندهم على تحدي الصليبيين الدخلاء، ففي وقمة حطين وعلى ابواب بيت المقدس انتقم هذا القائد لما حدث في الحرب الصليبية الاولى من المهانة والاذلال واثبت كيف يحتفل الرجال الشرفاء من اهل المشرق بانتصارهم(١١٢) .

---

(١٠٨) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ٢ ص ٧٥٢ ، جب ، صلاح الدين الايوبي ص ١١٨ ، ١٩١ ارنست بارکر ، الحروب الصليبية ص ١٨٤ .

(١٠٩) بعد اتمام الفتح ، غادر الصليبيون المدينة وانتزعوا الصليب المنصوب على قبة الصخرة وزالت رموز العبادة الصليبية ، وجرى تطهير المسجد الاقصى من كل اثار احتلال الصليبيين وتم رش البنائين قبة الصخرة والمسجد الاقصى بماء الورد وتهيأ من جديد لتؤدى بهما الشعائر الاسلامية ، وادى صلاح الدين الايوبي صلاة الجمعة في المسجد الاقصى (ابن واصل ، مفرج الكروب حـ ، ص ٢٢٩-٢٤٢)

(١١٠) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية حـ ٣ ص ٥٧

(١١١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ص ١٢١-١٢٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب حـ٢ ص ٢٠٥-٢١٢ ، رنسيمان ، المصدر نفسه ص ٩٦ .

(١١٢) رنسيمان ، المصدر نفسه حـ٢ ص ٧٦٥ .

WWW.ATTAWEEL.COM